الفصل الخامس

إبراهيم الخليل والعبرانيون

1 - العبرانيون.

2 - الخبيرو.

3 - الأخلامو.

4- إبراهيم الخليل - نسبه - حياته - ديانته – رحلته.

قبل الكلام عن إبراهيم الخليل، لا بد من التعرف على بعض التسميات التي وردت في التوراة واعتبرها الباحثون، أنها تسميات لمسمى واحد، أو مترادفات تمثل جميع الأدوار دون تمييز.

obeikandi.com

أولاً: العبرانيون:

كانت كلمة (عبري) تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، أو قبل ذلك، على مجموعة من القبائل العربية المتواجدة شمال الجزيرة العربية، وبوادي الشام. وكانت العبرية لغة تلك القبائل وغيرهم من الأقوام البدوية حتى صارت كلمة عبري مرادفة لإبن الصحراء أو إبن البادية بوجه عام. في وقت لم يكن لليهود أي وجود. ولما ظهر اليهود، كانوا هم أنفسهم يقولون عن العبرية (شفة كنعان أي لسان أو لغة كنعان).

ومن مدونات التوراة أخذ الدارسون الغربيون سلسلة نسب العبرانيين هؤلاء كما يلي: ((عابر بن شالح بن أرفخشاد بن سام بن نوح)). دون أن ينتبهوا إلى أن التوراة جعلت هذه السلسلة تستمر حتى إبراهيم الخليل، لغرض في نفوسهم، وقد وقع مدونوا التوراة في تناقض صارخ حينما وضعوا إبراهيم في شجرة النسب، واحداً من أحفاد (عابر) بن شالح بن أرفخشاد، ثم اعتبروه أرامياً كما جاء في سفر (التثنية - 5:26) (ثم تصرّح وتقول أمام الرب إلهك أرامياً تائهاً كان أبي)). وفي ذلك من التناقض الواضح مع ما تذكره المصادر العربية القديمة التي تقول أن عابر بن شالح هو أبو قحطان وإليه ينتسب العرب القحطانيون، كما انتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم فيما بعد (العدنانيون أو عرب الشمال).

وتؤكد المصادر العربية القديمة، أن نسب إبراهيم يعود إلى (عابر بن أرام) وأن عابر الأرامي هذا قد انتقل مع أخوته وبنيه من منطقة بابل إلى منطقة الأراميين في شبه جزيرة العرب كما ورد في تاريخ الطبري.

وكما ورد في مدونات التوراة أيضاً، التي جعلت أسرة إبراهيم تأتي من مركز الأراميين في بابل إلى شبه جزيرة العرب.

ويتضح من كل ذلك أن إبراهيم وبنيه هم عرب أراميون وبذلك ينتفي خط النسب الذي وضعه مدونوا التوراة، وينتفي معه انتساب إبراهيم إلى عابر بن شالح بن أرفخشاد.

إذن من أين أتى لقبه (العبراني)؟ لقد اختلف المؤرخون حول تفسير هذه التسمية فدائرة المعارف البريطانية تقول: ((إن إبراهام كان شبه بدوي ينتمي إلى القبائل القديمة المسماة بالعبيرو ولعله ينحدر من هذا العرق القبلي نفسه)) فالعبيرو في هذا التفسير هم عرق قبلي....!

أما المؤرخ (جورج بوست يقول في مصنفه ((قاموس الكتاب المقدس))، (أن لقب إبراهيم بالعبراني، لم يُقصد به الإسرائيلي وإنما يمكن تفسيره بإبرام النازح أو المهاجر)).

فالعبراني هنا هي صفة لوضع مؤقت أو طارئ (النزوح) وليست عرفاً أو جنساً أو انتماءً.

أما العالم (فرويد) في كتابه (موسى والتوحيد) صـ 47 فيعلق على هذه المسألة بقوله: ((نحن نعرف أخبار هؤلاء المحاربين من الرسائل المكتشفة عام 1887م في سجلات مدينة العمارنة المهدمة، فهي تسمّيهم بـ (العبيرو) وقد أُطلق هذا الاسم فيما بعد، ولا ندري كيف، على الغزاة الجدد (اليهود). ولم تذكرهم رسائل العمارنة لأنهم (أي اليهود) جاؤوا في زمن لاحق)).

فالعبيرو هنا هم جماعة من المحاربين دون تحديد جنس لهم.

أما المؤرخ (ولفنستون) في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) يقول: ((ثم أصبحت كلمة عبري تشمل جميع الآراميين وكلهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب، قبل أن يكون لليهود وجود)).

وبذلك فالعبرانيون هم العرب الآراميون. ويؤكد مؤرخون آخرون أن كلمة (عبري أو عبراني) كانت تُطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، أو قبل ذلك، على مجموعة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب وفي بادية الشام. حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام. فالعبرانيون هنا مجموعة من القبائل العربية البدوية.

ونستدل مما سبق أن العبرانيين، موجودون قبل أن يكون لليهود أي وجود بزمن طويل، وأن اليهود لا يمتون بصلة للعبرانيين العرب. ولنا من قول التوراة دليلٌ على صحة ذلك. تقول التوراة في سفر الخروج 21: 1 و 2((إن الرب يخاطب

موسى: هذه هي الأحكام التي تضع أمامهم إذا اشتريت عبداً عبرانياً ، فست سنوات يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً...)).

وفي هذا دليل على أن العبرانيين، ليسوا يهوداً بل كانوا جماعة من البدو الفقراء الذين يبيعون خدماتهم مقابل توفير العيش لهم.

ولكن كهنة التوراة، قاموا باستعمال مصطلح (عبري أو عبيرو)، وأعطوا إبراهيم الخليل لقب (العبراني)، وذلك لربط تاريخهم بأقدم العصور، واعتبار وجود اليهود متصلاً بأقدم الأزمنة.

ويؤكد المؤرخ كروهمان في بحثه عن أصل العرب فيقول: ((من المؤكد أن العنصر العربي البدوي في شبه جزيرة العرب، هو على الأرجح، مصطلح مرادف لتسمية (أرام وعبيرو وخبيرو) وجد في الأصل في المنطقة التي تمتد بين سوريا وبلاد ما بين النهرين (العراق) والتي تعد أقدم مركز للساميين)).

فكلمة (عبيرو) هنا تأتي مرادفة لكلمة عربي آرامي.

ثانياً: الخبيرو:

يخلط بعض المؤرخين بين التسميتين (عبيرو) و(خبيرو)، ويجعلونهما أسماً لمسمى واحد. ويذكر الدكتور فيليب حتّي في كتابه تاريخ سورية جـ 1 صـ 173

((أن اسم (الخبيرو) أطلق لأول مرة على المحاربين في عهد الملك (نارام سين) حوالي 2170 ق.م .. وكما يبدو فإنه ليس اسماً عرقياً وإنما تسمية أُطلقت على جماعات (الرّحل والأجانب) الأشقياء المستعدين للانضمام إلى صفوف أي جيش لقاء أجرة، أو بدافع الحصول على الغنائم)).

وبذلك يكون الخبيرو هم الفقراء الذين يؤجرون عملهم أو ما يدعى اليوم، (المرتزقة).

وتؤكد ذلك وثائق (نوزي) التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتذكر الخبيرو على : ((أنهم عبيد أصبحوا كذلك باختيارهم)). وهذا يعني أنهم الفقراء المعدمون الذين يبيعون عملهم في الخدمة العسكرية أو في العمل الزراعي أو في الرعي، مقابل قوتهم. وبذلك نجد أن التسمية (خبيرو) أخذت تنحو منحى مستقلاً عن (العبيرو).

ثالثاً: الأخلامو:

تعني كلمة أخلامو في اللهجات العربية القديمة (الرفاق أو الأصدقاء أو الأصحاب). وقد حافظت على معناها حتى اليوم. ففي المعاجم نجد: أن (الخلم) هو الصديق والصاحب والجمع أخلام.

ولكن المؤرخين والدارسين استخدموا هذه التسمية مقترنة بالوجود العربي الآرامي، دون معرفة معناها ضمن التطور السياسي والاقتصادي في تلك المرحلة.

ويقول الدكتور أحمد سوسه في كتابه (مفصل، العرب واليهود في التاريخ) ما يلي: ((كان الآراميون مكونين من جملة عشائر وقبائل، فيهم فرع ورد اسمه بصيغة (أخلامو) وهي تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية. وأصبح الأخلامو في العهد الأخير مرتبطين بالآراميين، ونظراً لشهرة هذه القبائل صار اسمها كثيراً ما يُطلق على جميع الآراميين)).

ويتضح من خلال هذا أن بعض السمات المشتركة بين (العبيرو والخبيرو، والأخلامو)، جعلت المؤرخين لا يميزون فيما بينهم. ((فهم جميعاً من العرب الآراميين، البدو أو الفقراء، بوجه عام، ويتحركون في منطقة واحدة من شبه جزيرة العرب)).

إن وضوح منطقة تحركهم في شبه جزيرة العرب، أسقطت كل التفسيرات الجغرافية التوراتية المزورة حول ما دعي بأن وجودهم في (بلاد الرافدين) والتي صارت بتغيير أسماء المواقع، تعني نهري (دجلة والفرات).

وبناء على ما تقدم، نستطيع أن نميّز بين هذه التسميات: (عبيرو، وخبيرو، وأخلامو) كما يلي:

فالعبيرو: هم الجماعات والأفراد الذين اختاروا العبور إلى المنطقة الغربية أي (غربي جبال السراة) حيث الأرض الزراعية الخصبة، أي إلى منطقة الكنعانيين

المزدهرة زراعياً من بلاد غامد وزهران في غرب شبه جزيرة العرب، وتشمل تلك الجماعات، الأغنياء من العرب الآراميين مالكي القطعان.

أما **الخبيرو** : فهم البدو الفقراء والمعدمون الذين لايملكون إلا جهدهم فيعملون كإجراء للعمل في الأرض أو الرعي أو الخدمة لدى الأغنياء أو كمرتزقة في الجيوش المحاربة، مقابل قوتهم.

أما **الأخلامو**: أو الرفاق، هم المعدمون الذين لم تكن تتوفر لهم فرص بيع جهدهم للعمل، فكانوا يتحولون إلى مجموعات عصابية تسطو على الممتلكات وتقوم بنهب المحاصيل والثروات في المدن، أو الإغارة على طرق القوافل التجارية.

وقد استمرت ظاهرة الأخلامو في المراحل اللاحقة من التاريخ العربي ولا سيما في شبه جزيرة العرب. ولم تكن تنظيمات العرب الصعاليك إلا أحد أشكال هذه الظاهرة.

والمهم أن جميع المصادر تُجمع على أن وطن تلك الجماعات إنما هو شبه جزيرة العرب، وأن لغتهم هي لغة العرب الكنعانيين، وليس لهم أية علاقة باليهود.

رابعاً: إبراهيم الخليل:

(نسبه - حياته - ديانته - رحلته)

أ - نسبه : اعتمد المؤرخون، في بحثهم عن نسب إبراهيم الخليل، على ما أوردته التوراة في سفر (التكوين 11 : 25) حيث قالت ما يلي: ((إبرام هو ابن

تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح)).

ولعل مدونو التوراة قصدوا من ربطه بهذا النسب، ليجعلوا منه عبرانياً نسبة إلى عابر بن شالح. وفي هذا تناقض واضح مع نسب إبراهيم الأرامي أي أنه يعود إلى آرام بن سام بن نوح. بالإضافة إلى أن نسب إبراهيم وأولاده، الآرامي مؤكد سواء من ناحية الأب أو من ناحية الأمهات.

مع الإشارة إلى أن التوراة نفسها قد ذكرت حول نسب إبراهيم، في سفر التثنية 26 :5 ما يلي: ((آرامياً تائهاً كان أبي)). وبذلك يثبت لنا أن مدوني التوراة، عبثوا بشجرة الأصول وزوروا نسب إبراهيم في جملة عمليات التزوير التاريخية الكبيرة لغرض في أنفسهم.

فإبراهيم لا يمكن أن يكون آرامياً، وارفكشادياً في آنٍ معاً. وأنه لا يمكن أن يكون ابناً لتارح إلا إذا كان تارح آرامياً أيضاً. وإذا عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا ما يؤكد عملية التزوير، حيث جاء في (سورة الأنعام: الآية 74) ما نصه((وإذ قال إبراهيم لأبيه (آزر) أتتخذ أصناماً آلهة... إني أراك وقومَك في ضلال مبين)). صدق الله العظيم

ومما تقدم يتضح بما لا يقبل الشك، أن إبراهيم لم ينتسب إلى جدٍ غير آرام. وأما لقبه العابري أو العبراني أو العبري، لم يكن يعني أنه من الخبيرو أو

الأخلامو، بل كان واحداً من أولئك الأمراء العرب البدو الذين يملكون القطعان من المواشي ويؤجرون عدداً كبيراً من الخدم والرعيان.

وأما لقب العابري يمكن أن يكون قد لصق به نتيجة لعبوره الجرود(يردن) إلى أرض كنعان في بلاد غامد وزهران، غرب شبه جزيرة العرب.

ويعلّق الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم)صـ 630 بقوله:

((ثم إننا نرى كيف أن أبناءه من بعده لم ينتسبوا إليه. فأبناء إسماعيل؛ دعوا بالإسماعيليين، وأن أولاد يعقوب (إسرائيل) دعوا بالإسرائيليين، ولم ينتسبوا إلى إبراهيم. إذاً أُلصقت تسمية العبراني بإبراهيم وأهل بيته أثناء حياته. ولم يبقَ من العبرانيين شيء غير الظاهرة التي استمرت مع استمرار العبور، يقوم بها أناس وجماعات شتى من أبناء القبائل العربية وعشائرها، دون أن يكون ثمة أي جامع فيما بينها غير صفة العبور. إذ هي أشتات من قبائل عربية وليست فرعاً واحداً. ومن هنا تسقط مقولة الشعب العبراني أو اللغة العبرانية من منطق التاريخ)).

أما أسرة إبراهيم فتنقسم إلى فرعين:

1- فرع إسماعيل وهم العرب العدنانية.

2- فرع إسحق ويضم:

أ- عيسو.

ب- يعقوب ولقبه (إسرائيل) ومعناه (إسرا - إيل) أي الذي اصطفاه إيل.

ب- حياة إبراهيم:

ورد في روايات بعض المؤرخين أن إبراهيم الخليل، ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وأنه ينتمي إلى القبائل العربية الآرامية، كما مرّ سابقاً. وأن تلك القبائل قد نزحت من جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات، وأستقر فريق منهم في جنوب العراق ومنهم أسرة إبراهيم الخليل.

ويتفق المؤرخون أن مولده كان في العراق، في مدينة (أور) وفي رواية أخرى وُلد في مدينة (كوثا) التي كانت مركزاً مهماً للساميين في العراق منذ أقدم العصور. إن العصر الذي عاش فيه إبراهيم هو عصر عربي قائم بذاته، وله مقوماته: ((القومية واللغوية والدينية)) وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبقبائلها وبلغتها الأم.

ومع أن إبراهيم الخليل قد استقر مع عشيرته في العراق، إلا أنه كان على اتصال دائم مع القبائل العربية التي يرتبط بها بصلة القربى والوطن الواحد. وكانت له جمال وأغنام، واتصالات تجارية مع القبائل العربية التي تسكن البادية المتصلة بالفرات وبوادي الشام والحجاز.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد هذه الصلة، حيث قُرِنَ اسم إبراهيم وابنه إسماعيل بالجزيرة العربية وبالبيت العتيق في (مكة). وقد جاء في سورة البقرة الآيات: (124- 126- 127) ما نصه:

((وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع والسجود .... وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبّل منا إنك السميع العليم، ربنا إجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم....)) صدق الله العظيم.

جـ - ديانته:

يتفق الباحثون على أن إبراهيم كان صاحب رسالة دينية، تستند إلى عبادة الإله (إيل) الذي كان معبوداً ومعروفاً في كنعان، وله كهنته ومؤسساته الدينية المستقرة، إن إبراهيم الخليل لم يعرف الرب باسم (يهوه) اليهودي، بل عرفه باسم (إيل) الكنعاني، ولذا لُقّب بالخليل أي (خُل - إيل) وتعني حبيب إيل أو صديق إيل.

وعلى الرغم من قلة المعلومات عن الديانة الإبراهيمية، فإن الدلائل تشير إلى وجودها الفعلي وإلى تطورها داخل الديانة الكنعانية عبر الاتجاه الإيلي. ويمكن تتبع أخبار الإبراهيمية في المراجع الدينية (اليهودية والحنفية والإسلامية) وفي

مراجع غير دينية كالأخبار والروايات التي كانت متداولة في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، والتي تدل على أن التوحيد الإبراهيمي (الإيلي) قد خطا خطوة واسعة نحو صورة أوضح للذات الإلهية الواحدة.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد في سورة آل عمران الآية 65 مانصه:

((يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده، أفلا تعقلون))

صدق الله العظيم

وفي الآية 67 من سورة آل عمران نجد: ((ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)). صدق الله العظيم.

ومما لا شك فيه أن إبراهيم الخليل قد نادى بعقيدة التوحيد، وأن دعوته كانت موجهة إلى عبادة الإله (إيل) الإله الأوحد، إله السموات والأرض. وتعتبر دعوته هذه أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمعنى التوحيد. وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في سورة الأنعام الآية 74 التي تنص: ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهةً.... إني أراك وقومك في ضلالٍ مبين))

صدق الله العظيم.

حينما نادى إبراهيم الخليل بعقيدة التوحيد الإيلية بين قومه والأقوام الأخرى التي كانت على الوثنية، عُذب واضطُهد، واحتجّ الناس عليه فسُجن، ولكنه استمر في مناقشة الناس أياماً وهو في السجن، فخاف الملك أن يُفسد عليه سياسته فنفاه.

ويعتقد بعض المؤرخين أن ذلك كان دافعاً لرحيله مع عشيرته من (أور) في جنوب العراق، والعودة إلى الجزيرة العربية. ولكن نبوة إبراهيم انتشرت في مناطق واسعة من الأرض العربية مما خلّد اسمه في جميع البقاع التي حلّ بها. ((لقد كان إبراهيم الخليل رسولاً وزعيماً عربياً يحمل رسالته الدينية إلى الإنسانية جمعاء، دون أن تقيدها حدود ولا تقف في سبيلها عصبية الأقوام والأمم)).

كان إبراهيم الخليل ينتمي في نسبه إلى عشيرة عربية آرامية في (حرّان) في الجزيرة العربية، رحل مع قسم منها إلى (كوثا) و(أور) في جنوب العراق، ثم ارتحل عائداً إلى حرّان من جديد مع عشيرته الأرامية ثم إلى (ذومسك) التي تسميها التوراة (دمشق)، وهي في بلاد زهران، ثم إلى حبرون، ثم إلى بلاد مصراييم(المصريين) وفلشتيم (الفلسطينيون).

د - رحلة إبراهيم الخليل:

يؤكد المؤرخون أن رحلة إبراهيم الخليل من جنوب العراق، هي رحلة حقيقية لا مجال للشك في صحة حدوثها معتمدين، بالدرجة الأولى على مدونات التوراة، كمصدر يكاد يكون وحيداً، دون أن يعمد أحدٌ منهم إلى مناقشة ما ذكرته التوراة عن الرحلة، من أرض أور جنوب العراق، إلى أرض الكنعانيين جاعلين زمن الرحلة (نهاية القرن التاسع عشر) قبل الميلاد إستناداً إلى تسلسل أحداث التوراة. لا إلى وثائق تاريخية تستند إلى النصوص القديمة أو إلى الإكتشافات الآثارية.

تحدد التوراة رحلة إبراهيم بأربعة أشخاص هم (تارح وإبراهيم وساراي امرأة إبراهيم ولوط بن هاران) ((وأخذ تارح إبرام ابنه ولوطاً بن هاران .. وساراي كنته امرأة ابرام ابنه فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان)).

التوراة - تكوين (11 : 31.)

إن هذا التحديد لأشخاص الرحلة، إنما يخالف تماماً ما تعوّدت القبائل العربية عند تحركها، فهي تنتقل من مكان إلى آخر، إنتقالاً يضم مجموعة من القبائل.

ومن المؤكد كان الانتقال يضم مجموعة من العشائر العربية الآرامية، بين الفرات وجنوب سورية وشبه جزيرة العرب، انتقالاً تفرضه الشروط الطبيعية كالزلازل أو الشروط الاقتصادية، كالبحث عن أماكن الرعي، أو الظروف

السياسية كالحروب وغارات الأقوام الأخرى. وإن تلك الموجة التي جاءت مع إبراهيم لم تكن مؤلفة من أسرة صغيرة عددها أربعة أشخاص كما ذكرت التوراة. بل كانت موجة بشرية كبيرة، دانت بالولاء لإبراهيم كأمير عربي وكزعيم ديني له من الاحترام والتأييد بين صفوف تلك القبائل.

ويتفق المؤرخون الذين أخذوا برواية التوراة، على أن إبراهيم رحل مع أسرته من منطقة أور في جنوب العراق، سالكاً طريق القوافل في محاذاة الجانب الأيمن لنهر الفرات ومعه ممتلكاته من قطعان الأغنام والماعز والجمال والدواب، ماراً بمدينة (ماري) على نهر الفرات، ثم إلى (حاران) وتقع على نهر البليخ في شمال سوريا. ثم يتابع إبراهيم التحرك إلى دمشق ومنها إلى فلسطين الحالية قاطعاً مسافة (960) كلم.

وبالعودة إلى النصوص التي ذكرتها التوراة عن الرحلة نجدها على النحو التالي، وبعد استعراض رواية التوراة، نعود إلى مناقشتها واحدة بواحدة:

1- من أور العراق إلى حاران:

تقول التوراة في سفر التكوين (11 : 31) ما نصه: ((وأخذ تارح أبرام ابنه، ولوطاً بن هارون إبن إبنه وساراي كنته إمرأة أبرام إبنه، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى (حاران) وأقاموا هناك ... ومات تارح في حاران)).

2- من حاران إلى أرض كنعان:

وتروي التوراة في سفر التكوين، (12 : 1- 5) ما يلي: ((وقال الرب لأبرام، اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بين أبيك إلى الأرض التي أُريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأبارك اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. فأخذ أبرام ساراي إمرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهم التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان)).

3- في أرض كنعان:

وتتابع التوراة روايتها عن الرحلة في سفر التكوين (12 :6- 9) فتقول: ((واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان (شكيم) إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر فيه. ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب ... ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب)).

4- من كنعان إلى مصر:

تقول التوراة في سفر التكوين (12 : 10- 20) ما يلي:

((وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك. ولأن الجوع كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل إلى مصر أنه قال لساراي إمرأته، إني قد علمتُ أنك إمرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآكِ المصريون أنهم يقولون هذه إمرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي أنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك)).

((فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤوساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وجمال. فضرب الرب الفرعون وبيته ضربات عظيمة، بسبب ساراي امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام وقال له، ما هذا الذي صنعته بي، لما لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك، خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)).

5- من مصر إلى أرض كنعان:

تذكر التوراة رحلة إبراهيم من مصر إلى أرض كنعان في سفر التكوين (13: 1- 4) فتقول: ((فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب. وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب. وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداءة بين

بيت إيل وعاي إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً، ودعا هناك أبرام باسم الرب)).

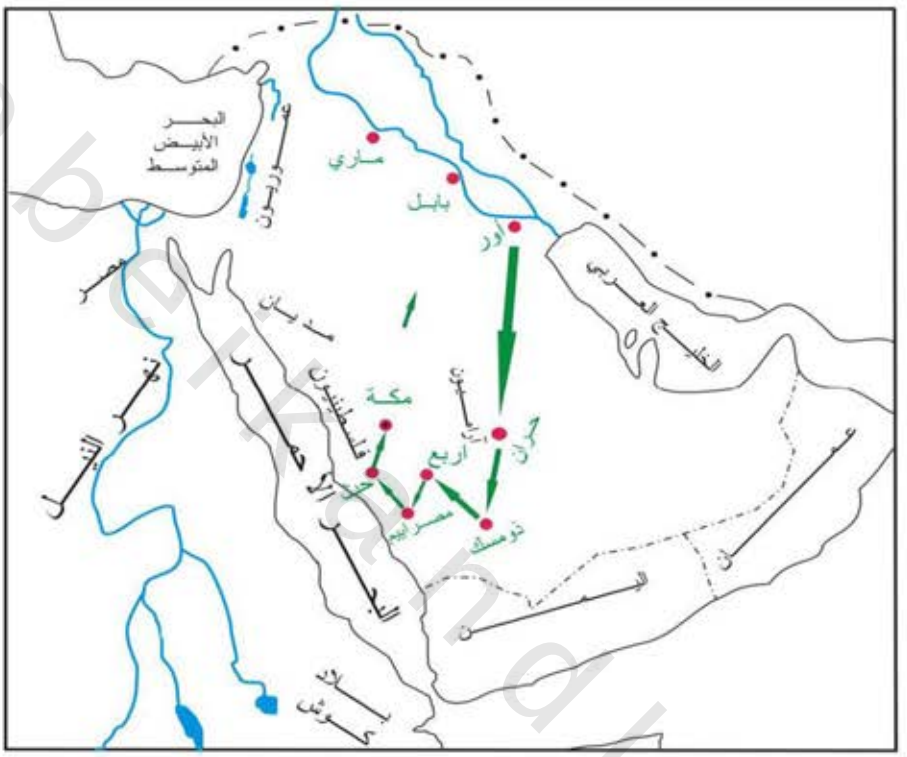

خط سير رحلة إبراهيم من أور إلى أرض كنعان حوالي 1900–1850 ق. م

6- في أرض كنعان:

أعادت التوراة إبراهيم من مصر إلى أرض كنعان، لتروي هنا مجريات حياة إبراهيم في أرض كنعان، في سفر التكوين (13 : 5- 13) فتقول: ((ولوط السائر مع أبرام كان له أيضاً غنم وبقر وخيام لم تحتملها الأرض أن يسكنا معاً، إذ كانت أملاكهما كثيرة، فلم يقدرا أن يسكنا معاً. فحدثت مخاصمة

بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض. فقال أبرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك... لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض أمامك. اعتزل عني إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً.... فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل شرقاً. فاعتزل الواحد عن الآخر. أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم)).

و المقصود هنا بالأردن منطقة الجرود الجبلية في سراة زهران.

وتقول التوراة أيضاً في سفر التكوين: (13: 18) ما يلي: ((فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون. بنى هناك مذبحاً للرب)).

((ثم انتقل من هناك إلى الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرّب في جرّار)) تكوين 20 : 1.

وتكف التوراة عن تسمية (أبرام) بل تجعل اسمه (إبراهيم) بدءاً من الإصحاح السابع عشر، وذلك بعد أن ولد له إسماعيل.

وفي ذلك تقول التوراة في سفر التكوين (17: 4- 6) ما نصه: ((وتكلّم الله معه قائلاً: أما أنا فهوذا عهدي لك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يدعى إسمك بعد أبرام بل يكون اسمك (إبراهيم))).

ثم تروي التوراة موت إبراهيم في سفر التكوين؛ (25 : 7_9) فتقول: ((وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها. مئة وخمس وسبعون سنة. وأسلم إبراهيم روحه ومات.... ودفنه اسحق وإسماعيل إبناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي أمام ممرا)).

بعد استعراض رحلة إبراهيم الخليل وعشيرته الآرامية من أور الكلدانيين في جنوب العراق إلى أرض كنعان كما وردت في التوراة، نجد من الضرورة ذكر الملاحظات التالية، لتبيان التناقض في ما روته التوراة حيث تعمّد واضعوها تزوير الحقيقة.

أ- يذكر الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سورية القديم صـ 812) عن رحلة إبراهيم التي استعرضنا تفاصيلها في مدونات التوراة. فيقول: ((إن الطريق التي سلكها إبراهيم في رحلته إلى أرض كنعان هي كما يلي؛ من أور الكلدان جنوب بابل، إلى حاران على بعد حوالي خمسين كيلو متراً شرقي زهران، ثم إلى أرض الكنعانيين في الجزء الشرقي من زهران نفسها، ومنها إلى بلاد المصريين (مصراييم) في غرب زهران، ثم إلى الموضع نفسه (قرية أربع أو حبرون) في القسم الشرقي من زهران)).

ب- إن تحرك أية مجموعة من العشائر البدوية لا بد أن تضم الرجال والنساء والأولاد وجميع ما تملكه تلك العشائر من قطعان. ومن هنا فإن تحرك

إبراهيم الخليل لم يقتصر على أسرة مؤلفة من أربعة أشخاص، بل كان تحركاً قبلياً يضم القبائل الأرامية العربية.

جـ - إن تحرك هذه القبائل كان مع كل ما تملكه من قطعان ومواشي وأمتعة لأن تحرك أية قبيلة مع ممتلكاتها، إنما هو تحرك رعوي، بمعنى أن الماشية تتقدم ببطء وهي ترعى ثم تقيل وتستريح حتى لا تنفق في الطريق، وأن قطعان الأغنام لا تصلح للانتقال عبر مسافات طويلة، وكما قدّر المؤرخون أن المسافة التي قطعها إبراهيم في رحلته تقارب الألف كيلو متر.

د- تجعل التوراة تحرك إبراهيم من أور في جنوب العراق إلى (حاران). وتجعل حاران في شمال سورية، بينما نجد أن حاران هذه هي مركز أرامي بدوي في شبه جزيرة العرب وفيها أهل إبراهيم وبيت أبيه وعشيرته الآرامية.

هـ - حينما انتقل إبراهيم إلى مصر، تقول التوراة أن أبرام قال عن ساراي أنها أخته وليست زوجته خوفاً على حياته، مما جعل فرعون مصر يتزوج منها. بينما الحقيقة أن هذا الملك ليس فرعون مصر وادي النيل، الذي تمتلئ قصوره بالحسناوات، كما أنه لا يجوز أن يتزوج إلا من البيت المالك. وبالتالي فإن الملك المقصود إنما هو ملك (مصرايم) سكان قرية مصر (ميسور) في بلاد غامد وزهران غرب شبه جزيرة العرب.

يضاف إلى ذلك، ما ذكرته التوراة أن إبراهيم قدّم ساراي زوجته إلى ملك مصر. في الحقيقة أن ذلك يتنافى مع غيرة العربي والبدوي بشكل خاص، على المرأة وتضحيته بنفسه للدفاع عنها وحمايتها. فكيف يمكن أن يحدث ذلك مع إبراهيم وهو أمير عربي آرامي؟!..

و - تقول التوراة أن تحرك إبراهيم إلى مصر، بسبب حدوث جوع في الأرض والحقيقة أن ذلك يعني جوع المواشي، بسبب فقدان المرعى، وإن صح ذلك فكيف يمكن أن يقطع إبراهيم المسافة الطويلة عبر صحراء سيناء ليصل إلى مصر وادي النيل بمواشيه؟

ز - جعلت التوراة الأرض التي وعد الرب إبراهيم بها، تمتد من الفرات إلى النيل، بينما كان إبراهيم في المنطقة الجبلية (جبل السراة) وليس من المعقول أن يرى إبراهيم من النيل إلى الفرات وهو واقف تحت بلوطته.

ويعطينا الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 651 تفسيراً لعملية التزوير والتبديل في أسماء المواقع فيقول: ((وبناء على التبديل في أسماء المواقع والأماكن الذي حدث في الترجمة السبعونية للتوراة، فقد درج المؤرخون على اعتبار (حاران) في شمال سوريا في أعلى الفرات، وبلاد كنعان هي سورية المتوسطية كلها، وأن مصر المقصودة هي مصر وادي النيل، وأن فلسطين هي الجزء الجنوبي من سوريا المتوسطية، وبناء عليه فإن الأرض التي وقف إبراهيم

يتملاها بعينيه .... وعده الرب بأن يجعلها ملكاً له ولنسله من بعده، هي الأرض الممتدة من الفرات إلى النيل)).

وبالعودة إلى مناقشة بعض أسماء المواقع التي أوردتها التوراة خلال رحلة إبراهيم نجد: أن (**حاران**) هي أحد مراكز الآراميين العرب في غرب شبه جزيرة العرب وأن سكانها كانوا من الرعاة وأصحاب المواشي والذين يمارسون التجارة في البوادي أيضاً.

ومن المعروف أن إبراهيم كان أحد رؤساء البدو الأغنياء الذين يملكون القطعان الكبيرة. وأن حاران كانت مقر إبراهيم و عشيرته، الذين عادوا إليها جميعاً حينما ضاقت بهم الأحوال في برية أور غرب الفرات وجميعهم من العرب الآراميين.

وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في سورة البقرة (الآيات: 125 – 126- 127) حيث قرن اسم إبراهيم وابنه اسماعيل بالجزيرة العربية وبالبيت العتيق (مكة المكرمة). ((وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود... وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك السميع العليم....))

صدق الله العظيم

أما **مصر** : التي ذكرتها التوراة في رحلة إبراهيم، هي ليست مصر وادي النيل. وفي ذلك يقول الدكتور أحمد داوود في تاريخه المذكور سابقاً صـ/656-657/ ما يلي: ((يذكر المؤرخ السوري(سانخونياتن) أن هنالك (مصر) في أرض (ميسور وصديق) غرب شبه جزيرة العرب. وأن مصرايم هم السكان الذين استقروا في بلاد غامد وزهران من شبه جزيرة العرب، والذين جاوروا أبناء عمومتهم الكنعانيين في بقعة واحدة)).

ونجد أنه حينما عاد إبراهيم من مصر إلى أرض كنعان، لم يتجه شمالاً، كما هو مفروض في من يذهب من مصر وادي النيل إلى فلسطين بل اتجه جنوباً إلى بلاد كنعان. ((فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب)).

تكوين (إصحاح 13 : 1)

وكذلك فإن القادمين من مصر وادي النيل إلى فلسطين، ليسوا بحاجة إلى أن يعبروا نهر الأردن. والحقيقة أن مصر هذه هي قرية متاخمة لقرى الكنعانيين ويتبعها مجموعة من القرى الأخرى والمنازل الأصغر، وكان لها ملك لقبه (فرعون) وأن مصر هذه تقع على روافد نهر (الدوقة) المنحدرة من غرب زهران وتقع في منطقة جبلية وليس في منطقة منبسطة فهي ليس لها علاقة بمصر وادي النيل.

ومن النصوص التوراتية حول إقامة إبراهيم في أرض كنعان تبرز مسألة أخرى هي:

مسألة الحثيين:

في بحث مسألة الحثيين، اتفق معظم المؤرخين على أنهم من الشعوب الشمالية أو من عرق (هندو - أوروبي) ويبدو أن المؤرخين تعمدوا إساءة فهم هذه المسألة، بقصد اتخاذها وسيلة لتهريب الحضارة العربية وطمس ما للعرب السوريين من دور حضاري في سوريا الغربية المتوسطية.

وذلك بنقل اسم (بلاد كنعان) من منطقة غامد وزهران في غرب شبه جزيرة العرب، إلى سوريا المتوسطية كلها. ثم نقل فرع من العرب الكنعانيين وهم الحثيون (بنو حث الكنعاني)، إلى سورية المتوسطية، وجعل بني (حث) قسم من القبائل الشمالية الهمجية التي لا يُعرف لها أصل حتى الآن. وربطوا المنطقة السورية بما أسموه (الحثيّون) بعد أن عثروا على الحثيين في مدونات التوراة. وجعلوا أولئك الحثيين وكأنهم شعب آري أو هندو - أوروبي في سورية المتوسطية بعد تسميتها بأرض كنعان اعتماداً على الجغرافيا التوراتية.

بينما نجد أن التوراة نفسها جعلت الحثيين أبناء (حث) بن كنعان كما ورد في سفر التكوين إصحاح (10 : 15- 18) ((وكنعان ولد صيدون بكره، وحثاً،

واليبوسي، والأموري، والجرجاشي، والحوي.. وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني)).

وتروي التوراة أن إبراهيم أقام بين الحثيين الكنعانيين في قرية (أربع) الحثية، وهناك ماتت زوجته (سارة) ودُفنت في قبر أعطاه الحثيون لإبراهيم.

وفي ذلك تقول التوراة في سفر التكوين (23: 2- 6) ما نصه ((أسمعنا يا سيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك)).

بينما تجعل التوراة الحثيين من الفرع الكنعاني العربي، يجعل المؤرخون من الحثيين إمبراطورية كبرى في شمال الأناضول بسبب التناقضات المتشابكةحول تاريخ الشعوب.

وحول هذا الموضوع يقول المؤرخ موتغارت في كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم) صـ178 ما نصه: ((إنه لمن المستحيل إعطاء صورة حية ذات تفاصيل وافية عن الشعوب المختلفة لتاريخ الشرق الأدنى خلال الحقبة الواقعة ما بين (1500- 1200) ق.م ، وأن نتعقب، بنفس الوقت، تشابك الحوادث الدولية والحقائق لنجعل منها وحدة تامة)).

مع العلم أن تلك الإمبراطورية التي دُعيت (بالحثية) لم يُعرف لها حتى الآن مركزاً أو عاصمة فمرّة يقول بعض المؤرخين، (عاصمتهم كوشار) ولكن هذه

العاصمة ما زال مكانها مجهولاً. ومرة أخرى تكون العاصمة (خاطي) في تركيا الآن ومرة ثالثة تصبح العاصمة (كركميش) جنوب طوروس.

كل ذلك يؤكد أن الحثيين الذين يذكرهم المؤرخون، هم قبائل لا يُعرف لها أصل، بل جاءت تسميتهم من الإنكليزية (حثي Hitti) وهي تسمية مأخوذة بدورها من مدونات التوراة، أي من بني حث الكنعانيين. فقبل مدونات التوراة لم يكن يُعرف لتلك القبائل اسم، وبعد أن تمّ تغيير أسماء المواقع، صار اسم (الحثيين) يُطلق على تلك القبائل (الهندو- أوروبية) في شمال الأناضول.

ويقودنا البحث إلى استعراض بعض أسماء الأماكن التي ارتبطت بحركة الحثيين:

1- نهارين:

ورد اسمها في مدونات التوراة بالكنعانية (نهريم) أي النهرين. ووردت أيضاً بصيغة (أرم نهريم) أي أرام النهرين. ثم جرى تغيير المكان إلى موضع آخر معروف في شمال سوريا، بحيث يسهل التصور أن المقصود (بالنهرين) دجلة والفرات. ومن هنا ظهرت التسمية (بلاد الرافدين).

ولكن الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ / 696-697/ يقول: ((أن حاران هي مركز (أرام النهرين) الواقعة على نهر (الثرات) شرقي الجرود (يردن) شرق بلاد زهران في شبه جزيرة العرب، وليس في شمال

سورية.. وأن أرض الحثيين والكنعانيين هي في بلاد غامد وزهران، وأن فلسطين هي بلدة (فلس ته) وقراها، والفلسطيني ون هم سكان تلك البلدة، وليس في فلسطين الحالية)).

2- كركميش:

تتألف الكلمة من (كرك) ومعناها الحصن و(كاميش) وهو اسم أحد العرب المقدسين في سومر وتصبح الكلمة معناها (حصن كاميش) ومن المعروف أن كركميش هي قرية حثية، يحيط بها الأراميون من كل جانب. ولكن بعض المؤرخين قالوا أن موقع كركميش هو مكان مدينة (جرابلس) الحالية في شمال سورية. بينما تقع كركميش على نهر (الثرات) شرق زهران، وبينها وبين أراضي الكنعانيين في بلاد غامد تقف (جبال لبنان) التي ينبع منها نهر (رنية) وروافد نهر الثرات.

3- الأردن ولبنان:

أشارت التوراة إلى موقع جبل (لبنان) هذا في أكثر من موضع. ففي سفر التثنية إصحاح (3 : 25) تقول التوراة ((وقف يشوع بجماعته عند بوابة أريحا في الجرود الجبلية.... ونظر ودعا ربه قائلاً: دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان)). فلبنان هنا هو أحد الجرود التي عليه أن يعبرها مع جماعته إلى أرض كنعان.

إذن يعتبر النص أن جبل (لبنان) يقع مقابل أريحا. فكيف يصح هذا مع لبنان وفلسطين شرق المتوسط؟!

ولكن الحقيقة هي أن ((الأردن)) التي تعنيها التوراة هي الجرود في سفوح جبال السراة والمؤلفة من الجبل (الجيد) وجبل (لبنان) وهناك تم العبور إلى أرض كنعان وليس في أي مكان آخر.

4 - قادش:

ورد هذا الاسم في التوراة باسم (قادش برنيع) وتعني بلاد الشمس المشرقة ، وتعني (مقام رنيا) وهو الإله الشمس ورب المرتفعات في بلاد زهران، وباسمه تسمى وادي رنيا المنحدر من الجبال نحو الشرق ليتحد بنهر الثرات الذي ينبع هو أيضاً من هذه الجبال.

وقد أخطأ المؤرخون حينما اعتمدوا جغرافية التوراة، فجعلوا بلدة (قادش) دفعة واحدة، لتصبح على نهر العاصي في أواسط سورية.

ويقترن اسم قادش وأرواد خلال حملات فرعون مصر (تحوتمس الثالث) (1490-1436) ق.م حيث تذكر المصادر التاريخية أن تحوتمس احتل قادش بعد أن تغلب على ملكها، ثم استولى على أرواد. وسجل في بيانه الحربي الذي أعلن فيه سقوط (أرواد) بيده فيقول: ((أن جلالته قهر مدينة أرواد وما فيها من قمح، وقطع جميع أشجارها الجميلة. انظر! لقد كان فيها محاصيل كل بلاد زاهي

لقد كانت جنائنها ملأى بثمارها وخمورهم، كانت معاصرهم كالمياه الجارية، وحبوبهم على الجلول كانت أكثر من رمال الساحل)).

الدكتور أحمد داوود، في تاريخه صـ 712

نقلاً عن المؤرخ بريستد **Breasted**

ولكن الدكتور أحمد داوود يعلق على هذا فيقول: ((جزيرة أرواد السورية لا يمكن أن تكون مدينة تغص بالأشجار والبساتين والثمار والحبوب. وهي أرض صخرية منذ أن وُجدت لا تصلح لشيء إلا للملاحة وصيد البحر)).

ولكن الحقيقة أن لفظ (أرواد) باليونانية هو (**Arados**) أي أنها (أراد) أو (عراد) على نهر عرادة في بلاد زهران.

5- دمشق:

ورد اسم (دمشق) في مدونات التوراة بصيغة (ماشك) و(ذمشك) وفي رسائل العمارنة وردت بصيغة (دومشكا) أو (دي مشكا)، وكلها صيغ مختلفة لقرية (ذومسك) الأرامية، شرقي زهران، مجاورة لقرى الكنعانيين والمصريين والفلسطينيين في بقعة واحدة لا تتجاوز مساحتها بضعة كيلو مترات مربعة.

وهذا يدل أن الخلط بينها وبين مدينة (دمشق) العمورية السورية إنما حصل في تبديل الأسماء في جغرافية التوراة.

obeikandl.com

وتعدد التوراة مجموعة من القرى تجعلها تابعة لـ (دمشق) منها : (أماتي، أرفاد، باطح، حلبا، أفيق). ولكن واضعي جغرافيا التوراة استبدلوا الأسماء الكبيرة الشهيرة بالأسماء الصغيرة المجهولة. فجعلوا مدينة (حلب) بدلاً من قرية (حلبا)، وجعلوا مدينة (حماه) بدلاً من القرية المجهولة (أماتي).

ويذكر الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم صـ 715) تعليقاً على ذلك التناقض فيقول:

((إن (دمشق) هذه تقع على أنهار (كوش) ولم يذكر أحد من المؤرخين حتى الآن، أن الكوشيين كان لهم أي ذكر في سورية العمورية المتوسطية. وأن هذه الأنهار تخترق (دمشق) إلى جبل صهيون، وهذا القول ينطبق على قرية (دومسك) الأرامية، جنوب شرقي الظفيرة الحالية.. فكل ذلك لا يذكرنا بمدينة دمشق (السورية) من قريب أو بعيد)).

obeikandl.com